مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٢)، ص ص ٦٠٨ – ٦٣٥ (ربيع ثاني١٤٤٤هـ /نوفمبر٢٠٢٢م)

مُناسبَةُ القَصَصِ في سُورَةِ (مريم) لِـمَقْصِدِ السُّورَةِ

الدكتور عبدالهادي علي محمد القرني
أستاذ التفسير المساعد بقسم الدراسات الإسلامية، بكلية الآداب، جامعة بيشة

ملخص البحث.

يتناول بحث "مُناسَبَةُ القَصَصِ في سُورَةِ (مريم) لِـمَقْصِدِ السُّورَةِ" دراسةَ القَصَصِ في سورةِ (مريم)، وبيانَ مُناسبتِها لِـمَقصِدِ السُّورةِ، وإبرازُ فوائدِ القصصِ المُتعلِّقةِ بمقصدِ السُّورةِ.

وقد اشتمل البحثُ على مبحثينِ: المبحثُ الأولُ: التعريفُ بمصطلحاتِ البحثِ والتعريفُ بالسُّورةِ، والمبحث الثاني: بيانُ مناسبةِ القَصَصِ لـمَقصِدِ السُّورةِ.

وهي أربعُ قَصَصٍ؛ وهي: قصةُ زكريا عليه السلام، وقصةُ مريمَ – عليها السَّلام – وحملِها وولدها، وقصةُ إبراهيم عليه السلام مع والده، وجزءٌ من قصةِ موسى عليه السلام.

وقد دُرسَت كُلُّ قصةٍ في ثلاثةِ فروعٍ؛ وهي: مُناسبةُ القصة لِما قبلها، ومناسبةُ القصة لِـمَقصِدِ السُّورة، والفوائدُ مِن القصَّةِ المُتعلقةُ بِمقصدِ السُّورةِ.

واعتمدت الدِّراسةُ على المنهج التحليلي والاستنباطي، وأهمُّ النتائج: أنَّ القولَ المُختارَ في مقصدِ السُّورةِ، مِن خلالِ دراسةِ القصصِ فيها: "الرَّحمة لأنبياء الله وأوليائه وعباده الخُلَّص".

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٢)، ص ص ٦٠٨ – ٦٣٥ (ربيع ثاني١٤٤٤هـ /نوفمبر٢٠٢٢م)

د. عبدالهادي علي محمد القرني

المقدمة:

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسَّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيِّدِنا ونبيِّنا محمدٍ، وعلى آلِه وصحبه أجمعين.

أمَّا بعدُ..

جاء القرآنُ الكريم لهدايةِ البشَر، وإصلاحِ شؤونِ العبادِ، وإخراجِهم من الظُّلماتِ إلى النُّور، فالقرآنُ الكريمُ هو مُعجزةُ نبيِّنا محمدٍ -صلى الله عليه وسلم- الخالدةُ إلى يومِ القيامةِ، وفيه عِلمُ الأوَّلينَ والآخِرينَ، وفيه أصولُ الأحكامِ والتشريعاتِ التي يحتاجُها العبادُ، وفيه أصولُ مقاصدِ هذا الدينِ العظيمِ وحِكَمِهِ وأسرارِهِ. ونظرًا لأهميةِ مقاصدِ القرآن الكريمِ، فقد اهتمَّ العلماءُ بها قديمًا وحديثًا، واستنبطوها وبيَّنوها في كتبِ علومِ القرآن، وفي كتُبٍ خاصَّةٍ بالمقاصدِ الشرعيةِ، وكتبٍ خاصَّةٍ بِمقاصدِ القرآن الكريمِ ومقاصدِ السُّورِ. وقد ورد كثيرٌ من القصصِ في القرآن الكريمِ في عدَّةِ مواضِعَ، وفي كلِّ موضِعٍ يكونُ للقصةِ مناسبةٌ وحكمةٌ من ذِكرها في كلِّ موطنٍ، تبعًا لمقصدِ السُّورةِ، وسببِ نزولِها، وموضِعِ نزولها، فأحببتُ أن أُساهِم بِالكتابةِ في مناسبةِ القصصِ الواردةِ في سورةِ (مريم) لمقصدِ السُّورةِ، وما تختصُّ به من الفوائدِ المناسبة لمقصدِ السُّورةِ، الأمرُ الذي يُبيِّنُ لنا أهميَّةَ المقصدِ الذي جاءَت به السُّورةُ، والاهتمامَ بهِ في جميعِ القصصِ الواردةِ في سورةِ (مريم)، سائلًا المولى – سبحانه وتعالى – التوفيقَ والسَّدادَ.

وفيما يلي أبيِّن: **أهميَّة البحث، وأهدافه، والدِّراسات السَّابقة، وحدود البحث، وخُطَّتَه البحث، ومنهجه.**

أهداف البحث:

١- بيان مقصد سورة (مريم) من خلالِ القصص الواردةِ في السُّورةِ
٢- توضيح مناسبةِ القصصِ في سورةِ (مريم) لمقصدِ السُّورةِ.
٣- إبرازُ فوائدِ القصصِ المُتعلِّقةِ بمقصدِ السُّورةِ.

أهمية البحث:

١. مكانَةُ علمِ المقاصدِ في الشريعةِ الإسلاميةِ.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٢)، ص ص ٦٠٨ – ٦٣٥ (ربيع ثاني١٤٤٤هـ /نوفمبر٢٠٢٢م)

٢. قلةُ الكتاباتِ العلميةِ في دراسةِ مناسبةِ القصصِ لمقاصدِ السُّورِ.
٣. عظَمَةُ القصصِ القرآنيّ وما تحتويْهِ مِن التشريعاتِ والأسرارِ والحِكَم.

منهجية البحث:

اعتمد البحثُ على المنهج التحليليّ والاستنباطيّ، متَّبِعًا الخطواتِ التاليةَ:

١. تحديدُ القصص الواردَةِ في سورةِ (مريم)، واستبعادُ ما فيه ذِكْرٌ للأنبياءِ والأقوامِ دونَ تَفْصِيلٍ وقَصٍّ لحالهم.
٢. بيانُ مناسبةِ القصَّةِ لِما قبْلها؛ لِما لها من أثرٍ في استنباطِ المقصِدِ.
٣. بيانُ أوْجُهِ مناسبَةِ القصَّةِ لمقصدِ السُّورةِ الرئيس.
٤. ذِكْرُ الفوائدِ المستنبطةِ من القصَّةِ، والاقتصارُ على الفوائدِ المتعلِّقَةِ بمقصدِ السُّورةِ.
٥. التزمتُ منهجيَّةَ البحث العلمي فيما يتعلَّقُ بالعزوِ والتَّوثيقِ ورسْمِ الآياتِ بالرَّسمِ العثماني.

الدراسات السابقة:

كُتِبَت كتبٌ وبحوثٌ في مقاصدِ القرآن الكريمِ؛ من أهمِّها: مقاصدُ القرآن الكريم ومحتوياتُه وخصائصُ سُوَرِهِ وفوائدُها، لعبد الله التليدي، ومقاصدُ القرآن الكريم، لِـحنان اللحَّام، ومقاصدُ القرآن الكريم عند الشيخ ابن عاشور، لهيا ثامر، والمدخلُ إلى مقاصد القرآن، لعبد الكريم حامدي، وعلمُ مقاصد السُّوَر، للربيعةِ، ومناسبةُ القصصِ في السُّورةِ القرآنيةِ لمقصدِها "دراسة تطبيقية على سورةِ البقرةِ"، لِلدكتورِ توفيق علي زبادي، والتناسُبُ القصصي في سورةِ البقرةِ، دراسة في هدي علم المناسبةِ، للباحثَينِ: د. زهراء خالد، وطلال يحيى. وهذان البحثانِ في دراسةِ القصصِ في سورةِ البقرةِ؛ أمَّا ما يخص بحثي وهو دراسةِ القصصِ في سورةِ (مريم) فقد وقفت على بحثين وهما:

- المعمار القصصي في سورة مريم (رسالة ماجستير)، للباحثة: كليثم سعيد الخاطري.
- سورة مريم، دراسة تفسيرية بيانية، للباحث: د. الصافي صلاح الصافي.

وقد قمنا بتقسيم البحث على النحو التالي:

المقدمة، وفيها: أهميَّة البحث، وأهدافه، والدِّراسات السَّابقة، وحدود البحث، وخُطَّتَه، ومنهجه.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٢)، ص ص ٦٠٨ – ٦٣٥ (ربيع ثاني١٤٤٤هـ /نوفمبر٢٠٢٢م)

التّمهيد.

المبحث الأول: التعريفُ بِمُصطلحاتِ البحث والسُّورة، وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول**: التعريف بِمُصطلحاتِ البحث.
- **المطلب الثاني**: التعريف بسورةِ (مريم) ومقْصدِها.

المبحث الثاني: مُناسبةُ القَصَص لمَقصِد سورةِ (مريم)، وفيه أربعة مطالب:

- **المطلب الأول**: قصَّة زكريا عليه السلام.
- **المطلب الثاني**: قصة مريم – عليها السَّلام – وحملها وولادتها.
- **المطلب الثالث**: قصة إبراهيم عليه السلام مع والده.
- **المطلب الرابع**: طرَف مِن قصة موسى عليه السلام.

الخاتمة، وفيها النتائج.

الفهارس، وتشمل قائمة المراجع وفهرس المُحتويات.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٢)، ص ص ٦٠٨ – ٦٣٥ (ربيع ثاني١٤٤٤هـ /نوفمبر٢٠٢٢م)

مُناسبَةُ القَصَصِ في سُورَةِ (مريم) لِمَقْصِدِ السُّورَةِ

التَّمهيد

للمقاصدِ شأنٌ عظيمٌ في القرآن الكريمِ والسُّنةِ النبويَّةِ خصوصًا، وفي الشريعةِ الإسلاميةِ عمومًا؛ وذلكَ لِـــما فيها مِن بيانِ الغاياتِ والحِكَمِ والأسرارِ التي تتضمَّنُها الشريعةُ الإسلاميَّةُ، ولأنَّ في معرفتِها: زيادةً في اليقينِ، وتنشيطًا للنفسِ لِلعملِ بما جاء فيها مِن الأحكامِ الشرعيةِ؛ وفي هذا يقول شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ: "فَمَنْ تَدَبَّرَ القرآن، وَتَدَبَّرَ مَا قَبْلَ الْآيَةِ وَمَا بَعْدَهَا، وَعَرَفَ مَقْصُودَ القرآن، تَبَيَّنَ لَهُ الْمُرَادُ، وَعَرَفَ الْهُدَى وَالرِّسَالَةَ، وَعَرَفَ السَّدَادَ مِنْ الِانْحِرَافِ وَالِاعْوِجَاجِ. وَأَمَّا تَفْسِيرُهُ بِمُجَرَّدِ مَا يَحْتَمِلُهُ اللَّفْظُ الْمُجَرَّدُ عَنْ سَائِرِ مَا يُبَيِّنُ مَعْنَاهُ فَهَذَا مَنْشَأُ الْغَلَطِ مِنْ الغالطين"(١).

ومن فوائدِ الاهتمامِ بالمقاصـــدِ: التّدبُّر والتعمُّقُ في معاني كلامِ اللهِ تعالى؛ قال الشَّـــاطبيُّ: "قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:٢٤] فَالتَّدَبُّرُ إِنَّمَا يَكُونُ لِمَنِ الْتَفَتَ إِلَى الْمَقَاصِـدِ، وَذَلِكَ ظَاهِرٌ فِي أَنَّهُمْ أَعْرَضُـوا عَنْ مَقَاصِدِ القرآن، فَلَمْ يَحْصُلْ مِنْهُمْ تَدَبُّرٌ"(٢).

تشتمل المقاصدُ على أسرارِ الشريعةِ وحِكَمِها، وهي في الغالبِ تحتاجُ إلى تأمُّلٍ وتفكُّرٍ، وليستْ كالأحكامِ الواضحةِ؛ كالأمرِ والنهيِ ونحوِها من الأحكامِ الشرعيةِ، فإنَّ في المقاصدِ فيها خفاءً ودقَّةً يُحتاجُ معها إلى وقتٍ وتدبُّرٍ لكي تُكتَشَفَ مكنوناتُها، وتُستنبطَ أسرارُها؛ فالرِّبا محرَّمٌ بإجماعِ المسلمينَ، وهو من المعلوم من الدينِ بالضَّرورةِ؛ يَعرفه الصغيرُ والكبيرُ، أمَّا العِللُ والأسرارُ والحِكَمُ في تحريمِهِ والنهيِ عنه فهذا ممَّا يخفى على كثيرٍ مِن المسلمينَ، وفي معرفةِ مقاصدِ تحريمِ الربا زيادةٌ في اليقينِ بوجوبِ تركِه، وتشجيعٌ لمحاربتِهِ، الأمرُ الذي له الأثرُ البالغُ في توسيعِ مداركِ المكلَّفين، وحثِّهم لهم على تطبيقِ شريعةِ ربِّ العالمين.

والقرآنُ يشتملُ على ثلاثةِ أمورٍ أساسيّةٍ؛ هي: التوحيدُ والأحكامُ والقصصُ (٣)، ولكلٍّ منها أسرارٌ ومقاصدُ جليلةٌ؛ فالتوحيدُ أساسُ الإيمانِ، وهو الذي خُلقت لأجلِهِ السَّماوات والأرضُ؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦]؛ فلعبادةِ اللهِ – سبحانه وتعالى – وطاعتِه والتذلُّلِ له خُلقِت المخلوقاتُ جميعِها.

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية ٩٤/١٥.
(٢) انظر: الموافقات، للشاطبي ٢٠٩/٤.
(٣) انظر: الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي ١٤٥/٤.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٢)، ص ص ٦٠٨ – ٦٣٥ (ربيع ثاني١٤٤٤هـ /نوفمبر٢٠٢٢م)

والأمرُ الثاني الذي يشتملُ عليه القرآن الكريمُ: الأحكامُ الشرعيّةُ؛ فهي التي تُنظِّمُ أمورَ الناسِ، وتُقيمُ شؤونَهم، وتُصلِحُ أحوالَهُم، وتُعرِّفِهم بالطريقةِ المُثلَى لِعمارَةِ الأرضِ والفوزِ بالدَّارِ الآخرةِ.

والأمرُ الثالثُ الذي اشتملَ عليه القرآن هو: القَصَصُ؛ فقد قصَّ اللهُ علينا في القرآن قصصًا كثيرةً؛ كقصصِ الأنبياءِ والصالحين في القرونِ الغابرةِ، ومنها قصَّةُ طالوت، وقصةُ وذي القَرنَين، وقصصُ الجبَّارين كقارونَ وهامانَ، وغيرُها مِن القصصِ، وفي القصصِ القرآنيِّ كُلِّه حِكَمٌ وأسرارٌ عظيمةٌ، تتجلّى فيها الغايةُ مِن إيرادِها وهي العِبْرةِ؛ قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ ﴾ [يوسف:١١١]، والعملُ بما يُستفادُ منها؛ قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾ [الأنعام:٩٠]، والكفُّ عمّا جاءَ فيها مِن العقوبَةِ وسخطِ الباري سبحانه وتعالى.

وقد اقتضتْ حكمةُ اللهِ – سبحانه وتعالى – عَرضَ القصصِ في القرآن الكريمِ في مَواطنَ مختلفةٍ وسُوَرٍ مُتعدِّدَةٍ، وبأساليبَ مُتنوِّعةٍ وفنونٍ بديعةٍ؛ فتارةً تُذكرُ القصةُ بإطنابٍ، وتارةً بإيجازٍ، حسَب ما تقتضيْه حِكمَةُ اللهِ سبحانه وتعالى – وما فيها مِن الأسرارِ البديعةِ والحكَمِ العجيبة.

وفي هذا بيانٌ لِوجهٍ مِن وجوهِ الإعجازِ في القصصِ القرآني، وهو عرضُ القصص في السُّورِ القرآنيةِ بما يتناسبُ مع مقاصدِ السُّوَرِ؛ وفي هذا يقول البِقاعيُّ: ولأجلِ اختلافِ مقاصدِ السُّورِ تتغيَّرُ نُظومُ القَصص وألفاظُها؛ بحسبِ الأسلوبِ المفيدِ للدلالةِ على ذلكَ المقصدِ(٤).

وقد وقع الاختيارُ على القصصِ القرآنيّ في سورةِ (مريم)؛ في محاولةٍ لبيانِ مُناسبةِ القصصِ في هذهِ السورةِ لِمقصدِها، وهو ممَّا يُساهِمُ في تلمُّسِ أوجُه الإعجازِ في عرضِ القصصِ في القرآن الكريمِ، وبيانِ الحكمة من عرضِ القصَّةِ على وجهٍ يُناسبُ مَقصِدَ السُّورةِ وسياقَ الآياتِ، وما تشتمِلُ عليهِ من الوقائعِ والأحكامِ.

(٤) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، للبقاعي ١/١٥٢.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٢)، ص ص ٦٠٨ – ٦٣٥ (ربيع ثاني١٤٤٤هـ /نوفمبر٢٠٢٢م)

المبحث الأول: التَّعريف بمصطلَحات البحث والسُّورة:

المطلب الأول: التعريف بِمُصطلحاتِ البحث:

المناسبة:

قال ابنُ فارسٍ: النُّونُ وَالسِّينُ وَالْبَاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ قِيَاسُهَا اتِّصَالُ شَيْءٍ بِشَيْءٍ. مِنْهُ النَّسَبُ؛ سُمِّيَ لِاتِّصَالِهِ وَلِلِاتِّصَالِ به(٥).

وقال الفيروزابادي: والمناسبة: المُشاكَلَةُ (٦).

والمناسبة في اصطلاحِ المفسِّرين هي، كما قال ابنُ العربيّ: ارْتِبَاطُ آيِ القرآن بَعْضِهَا بِبَعْضٍ؛ حَتَّى تكون كَالْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ مُتَّسِقَةَ المَعَانِي مُنْتَظِمَةَ المَبَانِي (٧).

وعرَّفها الزَّرْكشيُّ: أَمْرٌ مَعْقُولٌ إِذَا عُرِضَ عَلَى الْعُقُولِ تَلَقَّتْهُ بِالْقَبُولِ (٨).

وقال البِقاعيُّ: عِلمٌ تُعرفُ منهُ عِللُ ترتيبِ أجزائِهِ، وهو سِرُّ البلاغةِ؛ لأدائِهِ إلى تحقيقِ مطابقةِ المعاني لِما اقتضاهُ الحالُ. ثُمَّ بيَّن البقاعيُّ أهميَّةَ المقاصدِ في علم المناسباتِ فقال، بعد تعريفِها مُباشرةً: وتتوقَّفُ الإجادةُ فيهِ على معرفةِ مقصودِ السُّورةِ المطلوبِ ذلك فيها، ويُفيدُ ذلك معرفةَ المقصودِ مِن جميعِ جُمَلِها (٩).

---

(٥) مقاييس اللغة، لابن فارس ٤٢٣/٥.

(٦) القاموس المحيط، للفيروز أبادي ص١٣٧.

(٧) نقَلَهُ عن ابنِ العربيّ في كتابه سراجِ المريدينَ السيوطيُّ في الإتقان في علومِ القرآن ٣٦٩/٣.

(٨) البرهان في علومِ القرآن، للزركشي ٣٥/١.

(٩) نظم الدرر في تناسب الآياتِ والسور، للبقاعي ٥/١.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٢)، ص ص ٦٠٨ – ٦٣٥ (ربيع ثاني١٤٤٤هـ /نوفمبر٢٠٢٢م)

القَصَص:

قال ابنُ فارسٍ: القَافُ والصَّادُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَتَبُّعِ الشَّيْءِ؛ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمُ: اقْتَصَصْتُ الْأَثَرَ؛ إِذَا تَتَبَّعْتُه(١٠).

والقَصَـصُ: الأخبار الـــمُتتابعةُ، وقَصَـصُ القرآن الكريم هي: القَصَـصُ التي أخبر بها اللهُ في القرآن عن أحوالِ الأُمَم الماضية، والنُّبوَّاتِ السَّابقة، والحوادثِ الواقعة (١١).

السُّورة:

لغةً: قال الرَّاغبُ الأصفهانيُّ: والسُّورَةُ: المَنْزِلةُ الرَّفيعة؛ قال الشَّاعر:

أَلَمْ تـرَ أنَّ الله أعطاكَ سُـــورَةً تـرى كُلَّ مَـلْكٍ دونها يَـتذَبْـذَبُ (١٢)

وسُورُ المدينة: حائطُها المشتمِلُ عليها، وسُورَةُ القرآن تشبيهًا بها لكونه مُحاطًا بها إحاطةَ السُّور بالمدينة، أو لكونها منزلةً كمَنازِلِ القَمَرِ (١٣).

والسُّورةُ اصطلاحًا: قُرْآنٌ يَشْتَمِلُ عَلَى آيٍ ذَوَاتِ فَاتِحَةٍ وَخَاتِمَةٍ وَأَقَلُّهَا ثَلَاثُ آيَاتٍ (١٤).

---

(١٠) مقاييس اللغة، لابن فارس ١١/٥.
(١١) مباحث في علوم القرآن، لمنَّاع القطَّان ص٣١٦.
(١٢) للنابغة الذبياني، انظر: ديوان الهذليين ١٢٠/١.
(١٣) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني ص٤٣٤.
(١٤) البرهان في علوم القرآن، للزركشي ٢٦٤/١.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٢)، ص ص ٦٠٨ – ٦٣٥ (ربيع ثاني١٤٤٤هـ /نوفمبر٢٠٢٢م)

مَقاصِد:

أولًا القصدُ في اللُّغة:

قال ابنُ فارسٍ: القافُ والصَّادُ والدَّالُ أُصُولٌ ثَلَاثَةٌ، يَدُلُّ أحدُها على إِتْيَانِ شَيْءٍ وأَمِّهِ (١٥). وقال ابنُ منظورٍ: قَالَ ابْنُ جِنِّي: أَصلُ (ق ص د) ومَواقعُها في كلامِ العرب الاعْتِزَامُ والتَّوَجُّهُ والنُّهُودُ والنُّهوضُ نَحْوَ الشَّيْءِ (١٦).

ثانيًا– تعريف مَقاصدِ السُّورِ باعتبارِهِ عَلَمًا على هذا العلم:

قال البِقاعيُّ: هو عِلْمٌ يُعرفُ منهُ مَقاصِدُ السُّورِ، وموضوعُهُ: آياتُ السُّوَر، كلُّ سُورة على حِيالها (١٧).

وقال الدكتور محمد الربيعة: هو عِلمٌ يُعرفُ بِهِ مَغْزَى السُّورة الجامعُ لمعانِيها ومضْمونِها (١٨).

المطلب الثاني: التعريف بسُورة (مريم) ومَقْصِدها:

سبب نزول السُّورة:

ورد فيها حديثُ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-: يا جبريل، ما يمنعك أن تَزورَنا أكثرَ ممَّا تَزورُنا؟ قال: فنزلت:﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ [مريم: ٦٤]، قال: كان هذا الجوابُ لمحمدٍ رسولِ الله -صلى الله عليه وسلم- (١٩).

---

(١٥) مقاييس اللغة، لابن فارس ٥/٩٥.

(١٦) لسان العرب، لابن منظور ٣/٣٥٥.

(١٧) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السُّوَر، للبقاعيّ ١/١٥٥.

(١٨) علم مقاصد السور، للربيعة ص٧.

(١٩) رواه البخاريُّ، كتاب: التوحيد، باب: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (٩/ ١٣٥) ح (٧٤٥٥).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٢)، ص ص ٦٠٨ – ٦٣٥ (ربيع ثاني١٤٤٤هـ /نوفمبر٢٠٢٢م)

وقال مجاهدٌ: أبطأ الـــمَلَكُ على رسول الله **-صلى الله عليه وسلم-**، ثم أتاه فقال: «**لَعلّي أبطأت!**» قال: «**قد فعلتَ**»، قال: «**ولِمَ لا أَفعَلُ وأنتم لا تَتسوَّكون، ولا تَقصُّون أظفارَكم، ولا تُنقُّون بَراجِمَكم!**»، قال: «**وما نتنزَّل إلا بأمر ربِّك**»، قال مجاهدٌ: فنزلتْ هذه الآية (٢٠).

وقال عكرمةُ والضَّحَّاكُ وقتادةُ ومقاتلٌ والكلبيُّ: احتبس جبريل عليه السلام حين سأله قومُه عن قصَّةِ أصحابِ الكهف وذي القَرْنَين والرُّوح، فلم يَدْرِ ما يجيبهم، ورَجَا أن يأتيَه جبريلُ عليه السلام بجوابٍ، فسألوه فأَبطَأ عليه، فشَقَّ على رسول الله ﷺ مَشقَّةً شديدةً، فلمَّا نزل جبريلُ عليه السلام، قال له: «**أبطأتَ عليَّ حتى ساء ظنِّي واشتقتُ إليك**»، فقال جبريلُ عليه السلام: «**إنِّي كنتُ إليك أَشْوَقَ، ولكنِّي عبدٌ مأمور؛ إذا بُعِثتُ نَزلتُ، وإذا حُبِستُ احتبستُ**»، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ [مريم: ٦٤] (٢١).

مقصدُها:

ذُكِر في مقصدِها عدَّةُ أقوالٍ، نذكرها ثم نبيّن الرَّاجحَ منها مِن خلالِ دراسة القَصص في السُّورة.

قال البِقاعيُّ: "ومقصودُها: بيانُ اتِّصافه – سبحانه – بشُمُول الرَّحمة بإفاضة جميع النِّعَم على جميع خَلْقه، المستلزِمِ للدَّلالة على اتِّصافه بجميع صِفات الكمال، المستلزِمِ لشُمولِ القدرة على إبداع المستغرَب، المستلزِمِ لتمام العلم، الموجِبِ للقدرةِ على البعث والتنزُّهِ عن الولد؛ لأنه لا يكون إلا لمحتاجٍ، ولا يكون إلا مِثلَ الوالد، ولا سَمِيَّ له – سبحانه – فضلًا عن مَثيل"(٢٢).

(٢٠) أسباب النزول للواحدي (ص٣٠٩)، والدر المنثور للسيوطي (٥٣٠/٥). وله طريق آخر عن ابن عباس دون ذكر سبب الزول، مسند الإمام أحمد (٦/٣) وحسن إسناده أحمد شاكر.

(٢١) أسباب النزول للواحدي (ص٣٠٩).

(٢٢) مصاعد النظر، للبقاعي (٢٥٦/٢).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٢)، ص ص ٦٠٨ – ٦٣٥ (ربيع ثاني١٤٤٤هـ /نوفمبر٢٠٢٢م)

وقال الفيروزابادي: مقصودُ السُّورة ومُعظَمُ المراد منها، على سبيل الإجمال: وَعْدُ الله العبادَ بالكفاية والهداية، وإجابةُ دُعاءِ زكريَّا عليه السلام، والمِنَّةُ عليه بولدٍ يحيى عليه السلام، وإعطائه علمَ الكتاب، وذكرُ عجائب ولادة عيسى وأُمِّه، عليهما السَّلام، والخبرُ عن أَحوال [٢٣].

وَقَدْ تَكَرَّرَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ صِفَةُ الرَّحْمَنِ سِتَّ عَشْرَةَ مَرَّةً، وَذُكِرَ اسْمُ الرَّحْمَةِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، فَأَنْبَأَ بِأَنَّ مِنْ مَقَاصِدِهَا تَحْقِيقَ وَصْفِ اللَّهِ – تَعَالَى – بِصِفَةِ الرَّحْمَنِ [٢٤].

عبَّر باسم الرَّبِّ المقتضِي للإحسان لُطفًا بها؛ ولأنَّ هذه السُّورةَ مصدَّرةٌ بالرَّحمة، ومن أعظم مقاصدها تَعداد النِّعَم على خُلص عباده [٢٥].

ويُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ فِيهَا ذِكْرُ الرَّحْمَةِ التي رحم بها عبدَه زكريَّا عليه السلام[٢٦].

والقولُ المُختارُ في مقصدِ السُّورةِ الذي توصَّلْتُ إليه: "الرَّحمة لأنبياء الله وأوليائه وعِباده الخُلص".

وأوجُه ترجيحِ هذا المقصدِ ما يلي:

أنَّ جميعَ القَصصِ في سورةِ (مريم) تضمَّنتْ هذا المقصدَ؛ إمَّا بالدَّعوةِ إليه مباشرةً، أو بما يعبِّر عنه.

أنَّ مقاصدَ سُوَر القرآن تدور حول الرحمة بعِباد الله [٢٧]؛ كما ورد في قوله: ﴿أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾[الأنعام: ١٥٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأعراف: ٥٢].

---

(٢٣) بصائر ذوي التمييز، للفيروزابادي (٣٠٥/١).
(٢٤) التحرير والتنوير (٦٠/١٦).
(٢٥) نظم الدُّرر، للبقاعي (١٨٤/١٢).
(٢٦) مفاتيح الغيب (٥٠٧/٢١).
(٢٧) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، للعزّ ابن عبد السَّلام [٨/١].

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٢)، ص ص ٦٠٨ – ٦٣٥ (ربيع ثاني١٤٤٤هـ /نوفمبر٢٠٢٢م)

المبحث الثَّاني: مناسبة القَصَص لمُقصِد سُورةِ (مريم):

المطلب الأول: قصة زكريَّا عليه السلام:

قال تعالى:﴿ كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ۝٤ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ۝٦ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ۝٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ۝٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ۝٩ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ۝١٠ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ۝١١﴾[مريم: ١-١١].

الفرع الأول: مُناسبة القصَّة لِما قبْلها:

ووجهُ مناسبتها لسُورة الكهف اشتمالُها على نحو ما اشتملتْ عليه من الأَعاجيب؛ كقصَّةِ ولادة يحيي وقصَّةِ ولادة عيسى، عليهما السَّلام. ولذلك ذُكرت بعْدها [٢٨].

وقال السيوطيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "مناسبتُها لِما قبْلها: أنَّ سورة الكهف اشتملتْ على عدَّةِ أعاجيب: قصَّةُ أصحاب الكهف، وطُولُ لُبثهم هذه المدَّةَ الطويلةَ بلا أكلٍ ولا شُرب، وقصَّةُ موسى عليه السلام مع الخَضِر وما فيها من الخارقات، وقصَّةُ ذي القَرْنَين. وهذه السُّورةُ فيها أُعجُوبتان: قصَّةُ ولادة يحيى بن زكريا عليه السلام، وقصةُ ولادة عيسى عليه السلام، فناسب تَتاليهما"[٢٩].

وقال الآلوسيُّ: "ووجهُ مناسبتها لسُورة الكهف اشتمالُها على نحوِ ما اشتملتْ عليه من الأعاجيب؛ كقصَّةِ ولادة يحيى، وقصَّةِ ولادة عيسى عليهما السَّلام، ولهذا ذُكرتْ بعدها"[٣٠]. وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير في برهانه: "لمَّا قال تعالى:﴿ أَمَّ

(٢٨) التفسير الوسيط (٦/٩٣٩).
(٢٩) أسرار ترتيب القرآن (ص: ١٠٧).
(٣٠) روح المعاني (٨/٣٧٧).

حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ [الكهف: ٩] ثم أورد خبرَهم وخبرَ الرجُلين وموسى والخضر عليهما السَّلام، وقصَّةَ ذي القَرْنَين، أَتبَع – سبحانه – ذلك بقصصٍ تضمَّنتْ من العجائب ما هو أشدُّ عَجبًا وأخفى سَببًا، فافتتح سورةَ مريم بيحيى بن زكريا – عليهما السلام – وبِشارةِ زكريا عليه السلام به بعد الشَّيخُوخة، وقطعِ الرجاء وعَقْرِ الزَّوج، حتى سأل زكريا عليه السلام مستفهِمًا ومتعجِّبًا: ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ ﴾ [مريم:٨]"(٣١).

الفرع الثَّاني: مناسبة القصَّة لمَقصِدِ السُّورة:

ناسبت هذه القصةُ مقصدَ السُّورةِ من عدَّة وجوهٍ:

١– أنَّ زكريا عليه السلام دعا ربَّه في مَواطن الضَّعف بما تُستجلب به الرحمةُ؛ وهي كِبَرُ السِّنِّ ووَهْنُ العَظْم، قائلًا: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ ﴾ [مريم: ٤]، والوَهْنُ: الضَّعْفُ في العمل وفي الأشياء. وكذلك في العَظْم ونحوه، وقد وَهَنَ العَظْم يَهِنُ وَهْنًا وأَوْهَنَه يُوهِنُه، ورجلٌ واهنٌ في الأمر والعمل، ومَوْهونٌ في العَظْم والبَدَن (٣٢). وقال ابنُ جرير: "عني بقوله (وَهَنَ) ضَعُفَ ورَقَّ من الكِبَر. وقال قَتَادَةُ: اشْتَكَى سُقُوطَ الْأَضْرَاسِ، وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ؛ أَيْ ابْيَضَّ شَعْرُ الرَّأْسِ شَيْبًا"(٣٣).

٢– أنَّ زكريا عليه السلام لـمَّا دعا ربَّه ذَكَرَ في دُعائه ما سبقَ من رحمةِ الله به، فقال: ﴿ وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ ﴾ [مريم: ٤]؛ أي ولم أَشْقَ – يا ربِّ – بدعائك؛ لأنك لم تخيِّب دعائي قبلُ إذْ كنتُ أدعوكَ في حاجتي إليك، بل كنتَ تجيبُ وتَقضِي حاجَتي (٣٤).

(٣١) نظم الدرر في تَناسُب الآيات والسُّور (١٦٥/١٢)، والبرهان في تناسب سور القرآن (ص: ٢٥١).
(٣٢) العين (٩٢/٤)، وتهذيب اللغة (٢٨٧/٣)، ولسان العرب (١٢٩/١٣).
(٣٣) تفسير الطبري (١٤٣/١٨)، وتفسير البغوي (٢٢٥/٣).
(٣٤) تفسير الطبري (١٤٣/١٨)، وتفسير الثعلبي (٢٠٦/٦).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٢)، ص ص ٦٠٨ – ٦٣٥ (ربيع ثاني١٤٤٤هـ /نوفمبر٢٠٢٢م)

أنَّ اللهَ ذكر رحمةَ زَكريَّا عليه السلام في جُملة ما أَنعَم به عليه؛ ومنه ما رَزَقَه مِن ولدٍ على الكِبَر، فقال: ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا ﴾ [مريم:١٣] [٣٥]، وقد ذهب أكثرُ المفسِّرين الي أنَّ الحنان المقصود به هنا الرَّحمةُ؛ ومنه قولُ الحُطيئة [٣٦] لعُمرَ بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

تَحَنَّنْ عَلَيَّ هَـدَاكَ المَلِيكُ فَإِنَّ لِكُلِّ مَـقَامٍ مَـقَالًا [٣٧]

وقال الضحَّاكُ في قوله: ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا ﴾ "يقول: رحمةً من عندنا لا يَقدِر على أن يُعطِيَها أحدٌ غيرُنا. وقال آخرون: بل معنى ذلك: ورحمةٌ من عندنا لزكريا عليه السلام؛ آتيناه الحكمَ صبيًّا، وفعلْنا به الذي فعلْنا. ﴿ مِّن لَّدُنَّا ﴾: قال الزجَّاجُ: أي وآتيناه حَنانًا، وقال ابنُ الأنباري: المعنى: وجعلناه حنانًا لأهْل زمانه. وفي الحنان ستَّةُ أقوال؛ أحدُها: أنه الرحمةُ" [٣٨].

الفرع الثالث: الفوائدُ مِن القصَّةِ المُتعلِّقةُ بِمقصدِ السُّورةِ:

١ – أنَّ المستحَبَّ في الدعاء الإخفاءُ؛ لأنَّ الأعمال الخفيَّةَ أفضلُ وأبعد من الرياء؛ ومنه قولُ النبيِّ عليه السلام: «**خَيرُ الذِّكرِ الخفيُّ**» [٣٩]، وقوله: «**إنَّكم لا تَدعُون أصمَّ**» [٤٠]. وهو مِن آدَابِ الدُّعَاءِ، ويَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَفْضَلَ الدُّعَاءِ مَا هذا حالُه، ويؤكِّده قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ [الأعراف:٥٥]، ويُستحبُّ الإخفاءُ في الدُّعاء الذي هو في معنى العَفْو والمغفرة؛ لأنه يدلُّ من الإنسان على أنه خيرٌ؛ فإخفاؤه أبعدُ من الرِّياء [٤١] ، فَمَدَحَ عبدَه زكريا عليه السلام بِإِخْفَاءِ الدُّعَاءِ.

---

(٣٥) والحَنَان: الْعَطف وَالرَّحْمَة؛ تَقُولُ: حَنَّ عَلَيْهِ يَحِنُّ حَنانًا. تهذيب اللغة (٢٨٧/٣)، ولسان العرب (١٢٩/١٣).

(٣٦) هو جرول بن أوس بن مالك من بنى حطيئة بن عبس، يكنى أبا مليكة لقب الحطيئة لقصره، وقربه من الأرض، وهو من المخضرمين أسلم بعد وفاة النبي عليه السلام، انظر السمط ٨٠ والعيني ١/ ٤٧٣ والخزانة ١/ ٤٠٩

(٣٧) انظر: ديوان الحطيئة (ص٢٢٢)، وتفسير الطبري (٥٧/١٦)، والبحر المحيط (١٧٧/٦).

(٣٨) تفسير الطبري (١٥٦/١٨)، وزاد المسير في علم التفسير (١٢٢/٣).

(٣٩) رواه أحمد (١٧٢/١). وقال الهيثميُّ في المجمع (٨١/١٠): فيه محمدُ بن عبد الرحمن بن لبيبة، وضعَّفه ابنُ مَعين، وبقيَّةُ رجاله رجالُ الصَّحيح، وضعَّفه الألبانيُّ في ضعيف الجامع (٢٨٨٧).

(٤٠) أخرجه البخاري (٦٣٨٤) و (٦٦١٠) و (٧٣٨٦)، ومسلمٌ (٢٧٠٤) (٤٦).

(٤١) المحرر الوجيز (٤/٤).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٢)، ص ص ٦٠٨ – ٦٣٥ (ربيع ثاني١٤٤٤هـ /نوفمبر٢٠٢٢م)

٢- وَفِيهِ الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ إِخْفَاءَهُ أَفْضَلُ مِنْ الْجَهْرِ بِهِ، وَنَظِيرُهُ قَوْلُه تعالى: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ [الأعراف:٥٥] (٤٢).

٣- عدم اليأس من رحمة الله وسؤال الحاجات مهما كان الأمر ممتنِعًا بالنِّسبة للخَلْق؛ فهو هيِّنٌ عند الله الذي "**لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فِعْلُ مَا يُرِيدُ خَلْقَهُ، وَلَا يَحْتَاجُ فِي إِنْشَائِهِ إِلَى الْآلَاتِ وَالْمَوَادِّ**"(٤٣).

٤- عدم الاستعْجال في إجابة الدُّعَاءِ؛ فرحمةُ الله قريبٌ ولو طال أمدُها؛ فزَكَرِيَّا عليه السلام قِيلَ: رَزَقَهُ اللهُ بَعْدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً مِنْ دُعَائِهِ، وَقِيلَ: بَعْدَ سِتِّينَ (٤٤).

٥- أنَّ رحمة الله عَزَّوَجَلَّ تتجاوز ما يسأله العبدُ؛ فاللهُ استجاب دعاء زكريا عليه السلام فرزقه الولدَ وتولَّى بنفْسه تسميتَه، وأيضًا لا يوجد له سَمِيٌّ (٤٥).

أنَّ الانكِسَارَ بين يَدَي الله وذِكرَ مَواطنِ الضَّعف من العبد مَجْلَبةٌ لرحمة الله؛ ومن ذلك: ﴿ وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى ﴾﴿ وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾﴿ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَالِىَ ﴾﴿ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا ﴾، ومثلُه التَّبَرِّي منْ حَوْلِ النَّفْسِ وَقُوَّتِهَا، والاعتِمادُ عَلَى فضلِ الله – تعالى – وإحسانِه ورحمته (٤٦).

المطلب الثَّاني: قصَّة مريمَ، عليها السَّلام:

قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ * فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ

(٤٢) التفسير الوسيط، للواحدي (١٧٥/٣)، والمحرر الوجيز (٤/٤)، ومفاتيح الغيب (٥١٩/٢١)، وأحكام القرآن، للجصَّاص (٤٤/٥).
(٤٣) مفاتيح الغيب (٥٢٣/٢١).
(٤٤) البحر المحيط في التفسير (٢٤٢/٧).
(٤٥) معاني القرآن وإعرابه، للزجَّاج (٤٠٦/١).
(٤٦) مفاتيح الغيب (٥١٩/٢١).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٢)، ص ص ٦٠٨ – ٦٣٥ (ربيع ثاني١٤٤٤هـ /نوفمبر٢٠٢٢م)

هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [مريم: ١٦-٣٤].

الفرع الأول: مُناسبة القصة لِما قبْلها:

قال البِقاعيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لـــمَّا كان حاصلُ القصة أنه وُلد أخرجه اللهُ – تعالى – عن سببٍ هو في ضعفه قريبٌ من العدم، أمَّا من جهته فلبُلوغه إلى حدٍّ من السِّنِّ وحالٍ في الـمِزاج لا يقبل حركةَ الجِماع عادةً، وأمَّا من جهة زوجته فلزيادتها – مع يأسِها ببُلوغِها إلى نحوِ ذلك السِّنِّ– بكونها عاقرًا لم تَقبَل حَبَلًا قَطُّ، تبعه بقصَّةٍ هي أغربُ من قصَّته بكونها ليس فيها إلا سببٌ واحد وهو المرأةُ، وعُدم فيها سببُ الذُّكوريَّة أصلًا؛ إشارةً إلى أنه – تعالى – يَخلُق ما يشاء؛ تارةً بسببٍ قويٍّ، وتارةً بسببٍ ضعيف، وتارةً بلا سببٍ، ومَن كان كذلك كان مُستغنيًا عن الولد"(٤٧).

وقال ابنُ كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ذَكَرَ – تَعَالَى – قِصَّةَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنَّهُ أَوْجَدَ مِنْهُ فِي حَالِ كِبَرِهِ وَعُقْمِ زَوْجَتِهِ وَلَدًا زَكِيًّا طَاهِرًا مُبَارَكًا، عَطَفَ بِذِكْرِ قِصَّةِ مَرْيَمَ فِي إِيجَادِهِ وَلَدَهَا عِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلام مِنْهَا مِنْ غَيْرِ أَبٍ؛ فَإِنَّ بَيْنَ الْقِصَّتَيْنِ مُنَاسَبَةً وَمُشَابَهَةً، وَلِهَذَا ذَكَرَهُمَا فِي آلِ عِمْرَانَ وَهَا هُنَا، وَفِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ يُقْرِنُ بين الْقِصَّتَيْنِ لِتَقَارُبِ مَا بَيْنَهُمَا فِي الْمَعْنَى؛ لِيَدُلَّ عِبَادَهُ عَلَى قُدْرَتِهِ وَعَظَمَةِ سُلْطَانِهِ، وَأَنَّهُ عَلَى مَا يَشَاءُ قَادِرٌ"(٤٨).

(٤٧) نظم الدرر (١٨١/١٢).

(٤٨) تفسير ابن كثير (١٩٤/٥).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٢)، ص ص ٦٠٨ – ٦٣٥ (ربيع ثاني١٤٤٤هـ /نوفمبر٢٠٢٢م)

الفرع الثاني: مناسبة القصَّة لمَقصدِ السُّورة:

تظهرُ مناسبةُ القصةِ لمقصدِ السُّورةِ من وجهَين:

١- ﴿وَرَحۡمَةً مِّنَّآ﴾ [مريم: ٢١]: وَرَحْمَةً مِنَّا يَرْحَمُ عِبَادَنَا بِإِظْهَارِ هَذِهِ الْآيَاتِ حَتَّى تَكُونَ دَلَائِلُ صِدْقِهِ (٤٩).

٢- يتجلَّى في هذه الآية صريحُ الرَّحمة يقول: ﴿وَرَحۡمَةً مِّنَّآ﴾ [مريم: ٢١] لكِ ولمن آمن به وصدَّقه، أَخلُقُه منكِ (٥٠).

٣- رحمةُ الله تعالى بمريمَ – عليها السَّلام – حين أصابها الحزنُ؛ فقد زرع الطُّمأنينة في قلبها ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي ﴾ فَلَا تَحْزَنِي بِوِلَادَتِكِ، ﴿ قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴾ [مريم:٢٤] يَعْنِي عِيسَى عليه السلام. وَالسَّرِيُّ مِنَ الرِّجَالِ الْعَظِيمُ الْخِصَالِ السَّيِّدُ. قَالَ الْحَسَنُ: كَانَ – وَاللَّهِ – سَرِيًّا مِنَ الرِّجَالِ (٥١).

٤- عبَّر باسم الرَّبِّ المقتضي للإحسان لُطفًا بها، ولأنَّ هذه السُّورة مصدَّرةٌ بالرحمة، ومِن أعظمِ مَقاصدِها تَعدادُ النِّعَم على خُلص عباده (٥٢).

٥- الرَّحمة بتخفيف الحزن من همِّ السُّؤَال حين قالوا: ﴿ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ٢٧﴾ [مريم: ٢٧]؛ فأنطق اللهُ عيسى عليه السلام حتى قال:﴿ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾ [مريم: ٣٠]، فظهرت براءةُ ساحتِها بكلام عيسى عليه السلام – قبْل أن يتكلَّم مِثلُه؛ لـمَّا كلَّمهم عيسى عليه السلام بهذا عَلِموا براءةَ مريم، ثم سكت عيسى عليه السلام فلم يتكلَّم بعْد ذلك حتَّى بَلَغَ الـمُدَّةَ التي يتكلَّم فِيها الصِّبيانُ (٥٣).

---

(٤٩) مفاتيح الغيب (٥٢٣/٢١).

(٥٠) انظر: تفسير الطبري (١٦٥/١٨)، وتفسير الثعلبي (٢١٠/٦)، وتفسير البغوي (٢٢٤/٥).

(٥١) تفسير القرطبي (٩٤/١١).

(٥٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسُّوَر (١٨٤/١٢).

(٥٣) لباب التأويل في معاني التنزيل (١٨٧/٣)، والتفسير الوسيط، للواحدي (١٨٣/٣)، وتفسير البغوي (٢٣٣/٣).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٢)، ص ص ٦٠٨ – ٦٣٥ (ربيع ثاني١٤٤٤هـ /نوفمبر٢٠٢٢م)

الفرع الثالث: الفوائد مِن القصَّةِ المُتعلِّقةُ بِمقصدِ السُّورةِ:

١– رحمةُ اللهَ بمريم – عليها السَّـــلام – حين بعث لها جبريلَ عليه السلام على هيئة رجلٍ حَسَـــنٍ الخِلْقة لئلَّا يصـــيبها الخوفُ والذُّعر. قال الطبريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فتشبَّه لها في صورة آدميٍّ سويِّ الخَلْق منهم؛ يعني في صورة رجلٍ من بني آدم معتدلِ الخَلْق"(٥٤).

٢– حين فَزِعَتْ قال لها: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ ﴾ [مريم:١٩] النَّاظرُ في مصـــلحتك والمالكُ لأمرك، وهو الذي استعذتِ به. وقولُه لها ذلك تطمينٌ لها، وإخبارٌ بأنه ليس ممَّن تُظنُّ به رِيبةٌ (٥٥).

٣– ﴿ وَبَرَّۢا بِوَالِدَتِى ﴾ [مريم: ٣٢] برُّ الوالدين ورحمتُهما كثيرًا ما قُرن بطاعة الله، وذكَرَه بَعْدَ طَاعَةِ اللَّهِ رَبِّهِ لِأَنَّ اللَّهَ – تَعَالَى – كَثِيرًا مَا يَقْرِن بَيْنَ الْأَمْرِ بِعِبَادَتِهِ وَطَاعَةِ الْوَالِدَيْنِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وَقَالَ: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [لقمان: ١٤].

٤– أهميَّةُ الأخْذ بالسَّبب وان كان يسيرًا بعد التوكُّل على الله، ورحمةُ الله قريبةٌ حينئذٍ ﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ ﴾ [مريم: ٢٥]. يروى أنه كان جِذْعًا من نخلةٍ لا رَأْسَ عَليه، قِيلَ: كَانَتْ يَابِسَـــةً، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا. فمِن رحمة الله أن جعل اللَّه – جلَّ وعزَّ – له رأسًا وأنبت فيه رُطَبًا، وكان ذلك في الشِّتاء (٥٦).

٥– الولدُ الصَّالح رحمةٌ لأمِّه؛ فعيسى عليه السلام الذي دافع عن طُهرِ أمِّه وشرفِها أَوَّلَ ما نَطَقَ قال: ﴿ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ﴾ [مريم: ٣٠]، وَصَـــارَ ذِكْرُهُ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ سَـــبَبًا لِظهورِ طَهَارَةِ أُمِّهِ، وَلِبَرَاءَةِ وُجُودِهِ عَنِ الطَّعْنِ، وتَبْرِئَةً لِأُمِّهِ مِمَّا نُسِـــبَ إليها مِنَ الْفَاحِشَةِ (٥٧).

---

(٥٤) تفسير الطبري (١٦٣/١٨)، والدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤٩٤/٥).
(٥٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٨/٤)، والبحر المحيط في التفسير (٢٤٩/٧).
(٥٦) معاني القرآن وإعرابه، للزجَّاج (٣٢٥/٣)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (٩/٤)، وتفسير ابن كثير (٢٢٥/٥).
(٥٧) مفاتيح الغيب (٢١٤/١)، وتفسير ابن كثير (٢٢٨/٥).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٢)، ص ص ٦٠٨ – ٦٣٥ (ربيع ثاني١٤٤٤هـ /نوفمبر٢٠٢٢م)

المطلب الثَّالث: قصَّة إبراهيمَ عليه السلام مع والدِه:

قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ٤٨ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ٤٩ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ٥٠ ﴾ [مريم: ٤١-٥٠].

الفرع الأول: مُناسبة القصة لِما قبْلها:

مناسبةُ هذه الآية لِما قبلها أنه – تعالى – لـــمَّا ذكر قصَّةَ مريم وابنها عيسى – عليهما السلام – واختلافَ الأحزاب فيهما، وعبادتَهما من دون الله، وكانا من قبيل من قامت بهما الحياةُ، ذكر الفريقَ الضَّالَّ الذي عبد جمادًا، والفريقان وإن اشتركا في الضلال فالفريقُ العابدُ الجمادَ أضلُّ. ثم ذكر قصَّةَ إبراهيم عليه السلام مع أبيه تذكيرًا للعرب بما كان إبراهيم عليه السلام عليه من توحيد الله، وتبيين أنهم سالكو غيرِ طريقه(٥٨) . وقال ابن عاشور: قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ مِنْ أَهَمِّ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ السُّورَةُ التَّنْوِيهَ بِالْأَنْبِيَاءِ والرُّسُل السَّالفين.

وَإِذ كَانَ إبراهيم عليه السلام أَبَا الْأَنْبِيَاءِ وَأَوَّلَ مَنْ أَعْلَنَ التَّوْحِيدَ إِعْلَانًا بَاقِيًا؛ لِبِنَائِهِ لَهُ هَيْكَلَ التَّوْحِيدِ وَهُوَ الْكَعْبَةُ، كَانَ ذِكْرُ إبراهيم عليه السلام مِنْ أَغْرَاضِ السُّورَةِ، وَذُكِرَ عَقِبَ قِصَّةِ عِيسَى عليه السلام لِمُنَاسَبَةِ وُقُوعِ الرَّدِّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ (٥٩).

---

(٥٨) البحر المحيط في التفسير (٢٦٧/٧).

(٥٩) التحرير والتنوير (١١١/١٦).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٢)، ص ص ٦٠٨ – ٦٣٥ (ربيع ثاني١٤٤٤هـ /نوفمبر٢٠٢٢م)

الفرع الثاني: مناسبة القصَّة لمقصدِ السُّورة:

تَظهر مُناسبةُ القصةِ لِمقصدِ السُّورةِ مِن وجهَينِ:

١- أنَّ إبراهيم عليه السلام كان شفيقًا رحيمًا بوالده أن يمسَّه العذابُ بسبب شِركه. قال البقاعيُّ: "ولـمَّا كان العاقلُ لا يفعل فعلًا إلا لثمرةٍ نبَّهه على عُقم فِعله بقوله: ﴿ لِمَ تَعۡبُدُ ﴾؛ مُريدًا بالاستفهام المجاملةَ، واللُّطفَ والرِّفقَ واللِّينَ، والأدبَ الجميل في نُصحه له، كاشفًا الأمرَ غايةَ الكشف بقوله: ﴿ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ ﴾ [مريم: ٤٢]؛ أي ليس عنده قابليَّةٌ لشَيء من هذَين الوصفَين ليرى ما أنتَ فيه من خدمته أو يُجيبَك إذا ناديتَه حالًا أو مآلًا"(٦٠).

٢- أنَّ إبراهيم عليه السلام اعتزل والده برحمةٍ وهدوء حين رأى منه الإعراضَ والصُّدود. قالَ إبراهيم عليه السلام:﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ ﴾ أي سلمت منيّ لا أصيبك بمكروه ﴿ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧ ﴾[مريم:٤٧]. قال ابنُ عباس ومقاتلٌ: "لَطيفًا رحيمًا، وقيل: بارًّا" (٦١).

الفرع الثَّالث: الفوائدُ مِن القصَّةِ المُتعلقةُ بِمَقصِدِ السُّورة:

أنَّ إبراهيم عليه السلام لَمَّا سَمِعَ مِنْ أَبِيهِ ذَلِكَ أَجَابَ عَنْ أَمْرَيْنِ؛ أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ وَعَدَهُ التَّبَاعُدَ مِنْهُ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ أَبَاهُ لَمَّا أَمَرَهُ بِالتَّبَاعُدِ أَظْهَرَ الِانْقِيَادَ لِذَلِكَ الْأَمْرِ، وَقَوْلُهُ: ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ ﴾ تَوَادُعٌ وَمُتَارَكَةٌ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ٥٥ ﴾ [القصص:٥٥] (٦٢).

المطلب الرابع: قصَّة موسى وأخيه هارونَ، عليهما السَّلام:

قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥١ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ٥٢ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ٥٣ ﴾ [مريم: ٥١-٥٣].

---

(٦٠) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٠٤/١٢).

(٦١) تفسير الثعلبي (٢١٧/٦)، والتفسير الوسيط، للواحدي (١٨٥/٣)، وتفسير البغوي (٢٣٥/٥).

(٦٢) انظر: تفسير مُجاهد (ص٥٧٤)، وجامع البيان، للطبري (٨٧/٢٠)، وتفسير ابن كثير (٦٦/٧)، ومفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٥٤٦/٢١).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٢)، ص ص ٦٠٨ – ٦٣٥ (ربيع ثاني١٤٤٤هـ /نوفمبر٢٠٢٢م)

الفرع الأول: مُناسبة القصة لِما قبلها:

أَفْضَتْ مُنَاسَبَةُ ذِكْرِ إبراهيم وَيَعْقُوبَ – عليهما السَّلام – إِلَى أَنْ يُذْكَرَ مُوسَى عليه السلام فِي هَذَا الْمَوْضِعِ؛ لِأَنَّهُ أشرفُ نَبِيٍّ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، عليهما السَّلام (٦٣).

قال البقاعيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ولـمَّا كان موسى عليه السلام أولَ من نوَّه اللهُ بأسمائهم على لسانه في التَّوراة، وأظهر مَحامِدَهم، وشهر مَناقبَهم، وتَوارَث ذلك أبناؤهم منه حتى شاع أمرُهم وذاع وملأ الأسماعَ، وطار في الأقطار حتى عَمَّ البراري والبِحارَ، عقَّب ذِكرَهم بذِكره فقال: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ [مريم: ٥١] (٦٤)".

الفرع الثاني: مناسبة القصَّة لمَقصِدِ السُّورة:

تظهر مُناسبةُ قصةِ موسى لِمقصدِ السُّورةِ من وجهَين:

١- أنَّ اللهَ برحمته استجابَ دُعاءَ موسى عليه السلام، فقال: ﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴾[مريم: ٥٣]؛ وذلك حينَ سأل موسى عليه السلام ربَّه عَزَّوَجَلَّ قائلًا: ﴿ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ﴾ [طه: ٢٩-٣٠]، وحينَ قال: ﴿ فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ١٣ ﴾ [الشعراء: ١٣]، فأجاب اللهُ دعاءه (٦٥).

٢- لـمَّا وصل موسى عليه السلام إلى مَدْيَنَ حائرًا ملهوفًا كان من لُطف الله ورحمته به هدايتُه له. قال ابنُ القُشَيريِّ: "في الكلام حذفٌ وتقديرٌ: وناديناه حين أقبل من مَدْيَنَ ورأى النَّارَ من الشَّجرةِ وهو يريدُ مَن يَهدِيه إلى طريقِ مصرَ"(٦٦).

---

(٦٣) التحرير والتنوير (١٢٦/١٦).
(٦٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسُّوَر (٢١٠/١٢).
(٦٥) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٢١٨/٦).
(٦٦) البحر المحيط في التفسير (٢٧٤/٧).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٢)، ص ص ٦٠٨ – ٦٣٥ (ربيع ثاني١٤٤٤هـ /نوفمبر٢٠٢٢م)

الفرع الثَّالث: الفوائدُ مِن القصَّةِ المُتعلقةُ بِمقصدِ السُّورة:

١- أيُّ فضلٍ يَنالُه العبدُ فهو برحمة الله عَزَّوَجَلَّ؛ فقد نسب اللهُ ما منَّ به على موسى عليه السلام إذ قرَّبه إليه وناداه واستجابَ دعاءَه فقال: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ ﴾ [مريم: ٥٣].

٢- من رحمة الله بالعبد أن يهيّئَ له أخًا صالحًا يدلُّه على الحقِّ ويُعِينه عليه؛ قال تعالى:﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ ﴾ [مريم: ٥٣]، ومِثلُه قولُه تعالى: ﴿ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [طه: ٢٩-٣٤].

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٢)، ص ص ٦٠٨ – ٦٣٥ (ربيع ثاني١٤٤٤هـ /نوفمبر٢٠٢٢م)

الخاتمة:

الحمدُ لله على ما منَّ به عليَّ مِن إتمامِ هذا البحثِ: "**مُناسَبَةُ القَصَصِ في سُورَةِ (مريم) لِمَقْصِدِ السُّورَةِ**".

وقد توصَّلتُ في هذا البحثِ إلى ما يلي:

١- أنَّ القولَ الـمُختارَ في مَقصِدِ سورةِ (مريم) الذي توصَّلْتُ إليه: "**الرَّحمة لأنبياء الله وأوليائه وعِباده الخُلص**".

٢- أهمية هذه السُّورة وما اشتملتْ عليه من قَصص أنبياء الله ورسله.

٣- القصص التي دُرست أربعُ قصصٍ؛ وهي: قصةُ زكريا عليه السلام، وقصةُ مريم عليها السَّلام وحملها وولدها، وقصةُ إبراهيم عليه السلام مع والده، وجزءٌ من قصة موسى عليه السلام.

٤- اشتملت جميعُ هذه القصصِ على هذا المَقصِدِ "**الرَّحمة لأنبياء الله وأوليائه وعِباده الخُلَّص**".

بيَّنتُ في كُلِّ قصةٍ مُناسبتَها لِما قبلها، وأوجُهَ مُناسبتِها لمقصدِ السُّورة، والفوائدَ مِن القصَّةِ المُتعلِّقةَ بِمقصدِ السُّورةِ؛ وكان الغرضُ من ذلك إيضاحَ مناسبةِ كُل قصةٍ لِمقصدِ السُّورةِ، وتحقيق القصصِ لمقصدِ السُّورةِ.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٢)، ص ص ٦٠٨ – ٦٣٥ (ربيع ثاني١٤٤٤هـ /نوفمبر٢٠٢٢م)

د. عبدالهادي علي محمد القرني

The appropriateness of the stories in Surat Mariam to the purpose of the Surah

Dr. Abd-ul-Hadi Ali Mohammed Al-qarni

Assistant Professor of Tafsir in the Islamic Studies Department, College of Arts, University of Bisha

A. The study (The relevance of the stories in Surat (Maryam) to the purpose of the surah) deals with the stories in Surat (Maryam) and shows their relevance to the purpose of the surah.

B. The research included two topics: The first topic is introducing the research terms and the Surah, and the second topic is an explanation of the relevance of stories for the purpose of the Surah.

C. It is four stories: namely: the story of Zachariah, peace be upon him, the story of Mary, peace be upon her, her pregnancy and her son, the story of Abraham, peace be upon him, with his father, and part of the story of Moses, peace be upon him.

D. Each story has been studied in three branches, which are: the relevance of the story to what preceded it, the relevance of the story to the purpose of the surah, and the benefits of the story related to the purpose of the surah.

E. The author has used the analytical and deductive approaches in conducting this study, and the most important results are that the chosen saying in the purpose of the surah through studying the stories in it is that: (This surah is issued by mentioning the mercy of Allah for his prophets, saints and sincere servants)

جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٢)، ص ص ٦٠٨ – ٦٣٥ (ربيع ثاني١٤٤٤هـ /نوفمبر٢٠٢٢م)

المراجع والمصادر:

١. القرآن الكريم.

٢. السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ.

٣. الجصَّاص: أحمد بن علي، المكني بأبي بكر الرَّازي الجصَّاص الحنفي، أحكام القرآن، للجصَّاص، دار إحياء التراث العربي . بيروت، ١٤٠٥هـ.

٤. السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ)، أسرار ترتيب القرآن، دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

٥. البيضاوي: ناصر الدين، عبد الله بن عمر (٦٨٥هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٦. العلامة أبو حيَّان الأندلسي، البحر المحيط، دار النشر، دار الفكر.

٧. الزركشي: محمد بن عبد الله بن بهادر (٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.

٨. الفيروزابادي: محمد بن يعقوب (٨١٧هـ)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجَّار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث، القاهرة.

٩. ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.

١٠. ابن كثير: إسماعيل بن عمر (٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.

١١. الواحدي: أبو الحسن، علي بن أحمد النَّيسابوري الشافعي (٤٦٨هـ)، التفسير الوسيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٢)، ص ص ٦٠٨ – ٦٣٥ (ربيع ثاني١٤٤٤هـ /نوفمبر٢٠٢٢م)

١٢. الأزهري: أبو منصور، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.

١٣. القرطبي: أبو عبد الله، محمد بن أحمد (٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ.

١٤. السيوطي: جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ)، الدر المنثور، دار الفكر، بيروت.

١٥. الحُطيئة: أبو مُلَيْكة، ديوان الحطيئة، جرول بن أوس بن مالك العبسي.

١٦. الشنقيطي: محمد محمود، ديوان الهُذليين، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٣٨٥هـ.

١٧. ابن الجوزي: جمال الدين، أبو الفرَج، زاد المسير في علم التفسير، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٨. الشِّربيني: محمد بن أحمد، السراج المنير، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٩. محمد بن إسماعيل (٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٠. مسلم بن الحجَّاج (٢٦١هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢١. الألباني: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، ضعيف الجامع الصغير، المكتب الإسلامي.

٢٢. الربيعة: الدكتور محمد بن عبد الله، علم مقاصد السُّور، جامعة القصيم، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ.

٢٣. الفيروزابادي: محمد بن يعقوب (٨١٧هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ.

٢٤. العز ابن عبد السَّلام: عبد العزيز بن عبد السَّلام (٦٦٠هـ)، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، مراجعة وتعليق: طه عبد الرؤوف، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٤١٤هـ.

٢٥. الفراهيدي: أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد، كتاب العين، دار ومكتبة الهلال.

٢٦. الثعلبي: أبو إسحاق، أحمد بن محمد بن إبراهيم (٤٢٧هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٢)، ص ص ٦٠٨ – ٦٣٥ (ربيع ثاني١٤٤٤هـ /نوفمبر٢٠٢٢م)

٢٧. الخازن: علاء الدين، علي بن محمد بن إبراهيم (٧٤١هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٨. ابن منظور: محمد بن مكرم (٧١١هـ)، لسان العرب، دار بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

٢٩. القطَّان: منَّاع بن خليل (١٤٢٠هـ)، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ.

٣٠. نور الدين: علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.

٣١. ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم (٧٢٨هـ)، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ.

٣٢. ابن عطية: أبو محمد، عبد الحقِّ بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

٣٣. أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، مسند أحمد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٣٤. البقاعي: إبراهيم بن عمر بن حسن (٨٨٥هـ)، مصاعد النَّظر للإشراف على مقاصد السُّور، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٣٥. البغوي: الحسين بن مسعود بن محمد (٥١٠هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٣٦. الزجَّاج: أبو إسحاق، إبراهيم بن السَّري بن سهل (٣١١هـ)، معاني القرآن وإعرابه، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م

٣٧. الرازي: محمد بن عمر التميمي (٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٣٨. الأصفهاني: الحسين بن محمد (٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٢)، ص ص ٦٠٨ – ٦٣٥ (ربيع ثاني١٤٤٤هـ /نوفمبر٢٠٢٢م)

٣٩. ابن فارس: أحمد بن فارس (٣٩٥هـ)، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السَّلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

٤٠. الشَّاطبي: إبراهيم بن موسى بن محمد (٧٩٠هـــ)، الموافقات، تحقيق: أبي عبيدة مشهور، دار ابن عفَّان، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٤١. البقاعي: إبراهيم بن عمر بن حسن (٨٨٥هـــ)، نظم الدرر في تناسب الآياتِ والسُّوَر، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.